

كِتَابٌ مِنْهُ الْقَرِيبُ الْمَجِيبُ فِي الرَّدِّ عَلَى عُبَادِ الصَّلِيبِ

تَأَلِيفُ
السَّيِّحِ الْفَاضِلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرٍ
إِلَّا مَعَكُمْ غَبَرَ اللَّهُ لَهُمْ مَا آمِينَ

الطبعة الأولى

١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م

مفروق الطبع محفوظ

ترجمة المؤلف

هو الإمام العالم العلامة ، والقُدوة الحجة الفهامة ، المجتهد المتفنن في سائر العلوم والفنون ، شيخ الإسلام ، وإمام المهتدين الهداة الأعلام ، الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الإمام حمد بن ناصر بن معمر رحمهم الله ورضى عنهم ؛ ولد في الدرعية عاصمة نجد ، ومركز الحركة العلمية في ذلك الحين ، في أوائل القرن الثالث عشر سنة ١٢٠٣ من الهجرة النبوية ، ونشأ في حجر العلماء ، ورضع من أفوايق أهل الفضل الذين كانت تزخر بهم الدرعية ، ونجد في تلك الفترة من الزمن ، والذين أعلوا منار الإسلام ، وأعادوا له نضرتة وإشراقه ، فكان من شيوخه والده الشيخ حمد بن ناصر ، والشيخين العالمين الجليلين الإمامين : عبد الله ، وعلى ابني شيخ الإسلام الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، باعث التوحيد ، ومحبي السنة ، وقامع البدعة ، ومجدد القرن الثاني عشر ؛ والشيخ العلامة المؤرخ المحقق الشيخ حسين بن غنام ؛ والشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي ، وغيرهم من جهابذة العلم .

اقتبس الشيخ عبد العزيز من أنوار أولئك العلماء ، وقطف من ثمار فنونهم ، وتخرج في العلوم الإسلامية والأدبية على أيديهم ، فكان أديباً بارعاً ، وعالماً محققاً ، وفقياً مدققاً ، حاضر البديهة ، قوى العارضة ، فصيح اللسان ، بليغ القول ، مشاركاً في شتى العلوم الأصولية والفروعية ، ورعاً ، زاهداً ، متقللاً من الدنيا ، بعيداً عن مفاتها وزخارفها ، له اليد الطولى ، والباع الواسع في التصنيف والتأليف ، ونشر العلم ، وتخريج الكثير من

الطلاب، والرد على المعارضين، وإلخام المخاضين، وسترى في كتابه هذا مايدلك على كل ذلك إن شاء الله.

وله عدة مصنفات وفتاوى، ورسائل، وأشعار؛ فمن أشهر مصنفاته وأجلها هذا الكتاب المسمى "منحة القريب المجيب، في الرد على عباد الصليب"، ومن مصنفاته أيضاً: اختصار نظم ابن عبد القوى للمقنع، تأليف العلامة موفق الدين بن قدامة، ورشحه بمختصر المقنع للشيخ موسى الحجاوى، فكان صدر البيت من نظم ابن عبد القوى، وعجزه من مختصر المقنع.

أخذ عنه العلم، وانتفع به، وتخرج عليه كثير من العلماء والأدباء المشهورين لم يحضرني الآن من أسمائهم - وأنا على سفر، بعيداً عن الأهل والوطن، وعن مكتبتى - الشيخ أحمد بن على بن مشرف.

وفي هذه الحقبة جرى على الديار النجدية، والدولة السعودية الإسلامية ما قضى الله من تسليط المصريين ومحاربتهم للدولة السعودية، بقيادة إبراهيم باشا بن محمد على باشا وإلى مصر، من قبل الدولة العثمانية، وكان أمر الله مفعولاً، فابتليت نجد وأهلها وعلماؤها أشد الابتلاء، وامتحنوا في دينهم ودنياهم أشد محنة، غربت الدرعية عاصمة الديار النجدية، وهدمت القرى، وشرد العباد، وتشتت العلماء وقادة الدعوة الإسلامية، وأخرجهم المصريون من أوطانهم، ونفوه إلى مصر وغيرها، ورحل آل سعود، وآل الشيخ إلى مصر، ومنهم الشيخ العلامة الإمام عبد الرحمن بن حسن، وفر الشيخ عبد العزيز بن معمر إلى البحرين،

وكان لا يزال شاباً ، ولم تنقطع صلته بآل الشيخ الذين بمصر ، فكان يكاتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بأشعار رائقة ، يتوجع فيها على ماحلّ بنجد من الدمار والخراب ، ويتذكر أيامها البيض التي كانت مزدهرة بالعلم والعلماء ، وعز الإسلام ، وقوة دعوة التوحيد ، وخذلان الشرك والبدع ، ويبكى على ما آل إليه أمرها من ذلة التوحيد وأهله ، ومن ذلك منظومة ضمنها عقيدة التوحيد ، أولها :

إليك إله العرش أشكو تضرعا * وأدعوك في الضراء ربّي لتسمعا
توجع فيها أشد التوجع لما كان من الكائنات على نجد وأهلها ،
وما حلّ بالإسلام فيها من الفواحش ، وقاصمات الظهور .

وكانت الدول الإفرنجية قد مدت إصبعها في بلاد العرب ، وفكرت في أن تبسط نفوذها على تلك الربوع ، ومن ذلك بلاد البحرين ، كانت مثار خلاف بين الإنكليز والفرنسيين ، والدولة العثمانية ، والعجم ، كل تريد أن تبسط نفوذها عليها ، وأرسلت كل واحدة مندوباً من قبلها ، فكان مندوب الإنكليز رجلاً قسيساً اختارته انكلترا ليكون أبلغ إلى مقصودها بدهائه ، وعظيم مكره ، وليعمل على بث الدعاية المسيحية ، وينشر في تلك البلاد الشبهات والشكوك النصرانية ، ليفتن الناس عن دينهم إن استطاع ، وتلك سياسة أوروبا في كل الشرق الإسلامي ، أعظم ما تهتم له تشكيك الناس في دينهم ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ودد كثير من أهل الكتاب لو يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

فعمل ذلك القسيس الإنكليزي كتاباً أورد فيه شبهات نصرانية ،

يزعم فيها تصحيح الملة المسيحية الباطلة الخاسرة ، ودفعه إلى أمير البحرين
وشيوخها عبد الله بن خليفة ، وكان قد قبل أن يكون تحت الحماية الإنكليزية ،
وكان بهذا الكتاب شكوك وشبهات كثيرة ظنها هذا القسيس تروج على
أهل تلك الديار ، لزعمه أنهم جهلة بالدين ، ولا يحيطون من الإسلام بما
يكشف أباطيله ، وطلب من الشيخ عبد الله بن خليفة أن يعرضه على
المشايخ ، وعلماء البحرين ، ويردوا على ما فيه ، أو يقولوا رأيهم ، إن كانوا
موافقين أو مخالفين ، فدفعه الشيخ ابن خليفة إلى من كان عنده من علماء
البحرين ، وطلب منهم أن يردوا على الكتاب ، فلما قرأوه ، وجدوا
أنفسهم عاجزين عن الرد عليه ، فاعتذروا ، وقالوا : مانستطيع أن نرد
على ما فيه من الشبهة ، ثم أرسله إلى علماء الأحسا ، فقالوا مثل ما قال علماء
البحرين من إظهار العجز ، وقال بعض علماء الأحسا : ليس هذا النصراني
كفوؤاً أن يجاب ، فحزن لذلك الشيخ ابن خليفة أشد الحزن ، واغتم به
أشد الاغتمام ، فلما رأى من حوله ما هو فيه من الهم والحزن لعجز علماء
البحرين والأحسا عن دفع شبه ذلك القسيس ، قال له أحدهم : إنه قد نزل
بالبحرين شاب من طلبة العلم النجدين ، فأرى أن نعرضه عليه ، لعل الله
أن يزج عنا به هذه الغمة ، فأعطاه الكتاب ، وأوصله إلى الشيخ
عبد العزيز ، وقص عليه أمره ، وأمر العلماء ، واغتم الأمير لعجزهم ،
واهتمامه بالرد على هذه الشبهة ، فتناوله الشيخ ، وأبد النظر فيه ، وقال :
إن شاء الله يجيئكم دحض هذه الشبهة بعد شهر إن شاء الله ، وما لبث الشيخ
إلا أياماً قليلة حتى آتم الرد ، وبعث به إلى الأمير ، ففرح به أشد الفرح ،

ودعا القنصل الإنكليزي، وأعطاه الرد، فلما طالعه القسيس عجب له،
واندهش جداً، لما كان يظنه من عجز علماء البحرين، وقال: هذا الرد
لا يكون من هنا، وإنما هو من البحر النجدي، فقال له الأمير: نعم،
هو من أحد طلبة العلم النجديين، فأغاظ هذا شيخ البحرين، وأخذ يتهدد
علماء البحرين، ويعيرهم بعجزهم عما قام به طالب نجدى صغير.

توفي رحمه الله سنة أربع وأربعين ومائتين وألف، من الهجرة
النبوية. ورثاه كثير من الأدباء والعلماء، منهم الشيخ أحمد بن مشرف
رحمه الله، إذ يقول:

أشمس الهدى غابت أم البدر أفل	أم النجم أمسى لونه وهو حائل
أم الدين هد الخطب جانب طوده	أم العلم قد أوهت بناء الزلازل؟
نعم أفلت شمس العلوم وبدرها،	لدُنْ غيت حبر الزمان الجنادل
إمام الهدى عبدالعزيز بن ناصر،	فكم نصر الإسلام منه رسائل
رثته علوم الدين إن غاب نجمه،	فأنجمها تبكى عليه، أو أفل
وظلت ربوع العلم تهتف باسمه،	وتندبه للمشكلات مسائل
فن بعده للمعضلات وحلها،	وكانت له فيها تشد الرواحل؟
ومن للعدى يرمى بشهب علومه،	ومن للهدى يحمى، وعنه يناضل
لقد صار في الإسلام ثلم بموته،	وكلم، فن ذا بالعلاج يحاول؟
وقد كان للإسلام حصناً ومفزعا	إذا نزلت بالمسلمين النوازل
فأصبح مقصوداً لمن طلب الهدى،	وكل لنيل المعالي وسائل
لقد فقد العلم العزيز ونشره	لدن فقدت عبد العزيز المحافل

هو البحر إن رمت العلوم وبحثها سوى أنه للبحر يوجد ساحل
إذا ما أتاه السائلون فعنده جواب من التحقيق شاف ونائل
وقد جهل الأقوام مقدار فضله . وعاش زماناً ذكره فيه حامل
فلا عجب ، فالكنز يجهل غالباً ، وهذا زمان تسمو فيه الأسافل
لقد جد في علم الشريعة ناصباً ، إلا أنه بالجزم للحق نائل
وقد كان مخفوض الجناح تواضعاً بأحرف علم هنا فيه عوامل
أضيف إليه العلم النفيس فجرّه إلى كل خير ، فهو بالعلم عامل
وفعل المعالي أوجب رفع قدره ، كما يستحق الرفع في النحو فاعل
ولكنه في الفضل ماعنه نائب ، وليس له في عقله من يعادل
فحسبك من حسن أن ما ذكرته ، وما طال من شيء فافيه طائل
سقى روحه الرحمن هطال رحمة ، وعم الرضا من غيَّبته الجنادل
فأوصيك بالصبر الجميل وبالرضا فحكم المنايا للبرية عادل
فلو كان سهم الموت يخطئ . واحداً لعاش الهداة الأكرمون الأفاضل
ولكنه حكم من الله نافذ ، وخطب عميم للبرية شامل
ورثاه غيره رحمه الله ، وعفا عنه